

التفسير المطول - سورة الزمر 039 - الدرس 20-20: تفسير الآيات 70-75،
الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء والآخرة دار تشریف وتكريم.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1993-6-4

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين،
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا
وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من أيقن أن الله يعلم كل شيء وسيحاسبه لابد من أن يستقيم على أمره:

أيها الأخوة الأكارم؛ مع الدرس العشرين والأخير من سورة الزمر، ومع الآية
السبعين، قال تعالى:

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70)

سورة الزمر

الكون كله مظهرٌ لأسماء الله الحسنى، لكن اسم العدل لا يتحقق كاملاً إلا يوم
القيامة، لأن في الدنيا قوياً وضعيفاً، وغنياً وفقيراً، وصحيحاً ومريضاً، وظالماً ومظلوماً، ومغتصباً
ومغتصباً منه، ومفترياً ومفترى عليه، هذه العلاقات التي فيها تجاوزٌ وفيها اعتداءٌ على الحقوق
هذه متى يُفصل فيها؟ متى يعطى كل إنسان حقه؟ الآية الكريمة:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)

سورة الزلزلة

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ:

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

سورة الزلزلة

كلام خالق الكون، مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، لو أنك أنقذت نملةً وأنت تتوضأ - أنقذتها من الغرق
- هذا عملٌ عظيم، لو أنك نزعت قشةً من المسجد وضعتها في جيبك حفاظاً على نظافته، هذا
عملٌ عظيم، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

إذا أيقن الإنسان أن له إلهاً بالمرصاد يرقب عمله، ويعلم عمله، وسيحاسبه على عمله، لا بدّ من أن يستقيم، إنك مع إنسان من بني جلدتك، من بني جنسك، إذا أيقنت أنه يراقبك وهو أقوى منك وسيحاسبك، لا بدّ من أن تتصاع إلى أمره، راقب نفسك مع إنسان قد لا تراه ذا قيمة في مقياس القيم الإنسانية، ولكن لأنه أقوى منك، ولأنه قادرٌ على إيقاع الأذى بك، ولأنه يعلم ما تفعل، لا بدّ من أن تستقيم على أمره، فربنا عزّ وجل يقول: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ﴾.

من يعطي ويتقي وصدق بالحسنى يوفى أعماله كاملة والعكس صحيح:

ما عمك في الدنيا؟ أولاً: حرفتك، كيف تعاملت مع الناس بها؟ هل غششت المسلمين أم نصحتهم؟ هل شعرت أنهم بحاجة ماسة إلى هذه السلعة فرفعت سعرها أضعافاً مضاعفة كي تستغل حاجتهم؟ هل ذكرت لهم الحقيقة أم بالغت من أجل أن تأكل أموالهم بالباطل؟ عمك المهني جزء من عمك العام، عمك في بيتك جزء من عمك العام، عمك في لَهْوِكَ جزء من عمك العام، عمك فيمن حولك جزء من عمك العام، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ﴾ الذي أعطى واتقى وصدق بالحسنى ووفيت أعماله كاملة، والذي كذّب وتولى وبخل واستغنى ووفى عمله كاملاً، فذلك لا ترى في الدنيا أشد حمقاً ولا أشد غباءً ولا أشد جهلاً من الذي يعمل السيئات وهو يظن أنه يُحسن صنعاً، من الذي يأكل أموال الناس بالباطل وهو الذي يظن نفسه ذكياً، من الذي يأخذ ما ليس له وهو يحسب نفسه شاطراً، هذا هو الغباء بعينه لأنه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

الإنسان العاقل لا يرضى بالوهم المريح بل يبحث عن الحقيقة المرّة:

ما من حركةٍ، ولا سكنةٍ، ما من إساءةٍ، ما من إحسانٍ، ما من كلمةٍ طيبةٍ، ما من كلمةٍ سيئةٍ، ما من غمزٍ، ما من لمزٍ، ما من غيبةٍ، ما من نميمةٍ، ما من عدوانٍ، ما من نظرةٍ، ما من صحيحةٍ، ما من إصغاءٍ إلا في كتابٍ دقيقٍ، ويوم القيامة يُنشرُ هذا الكتاب ويحاسب الإنسان أشدّ الحساب، هذه حقيقة أيها الإخوة، إذا قبلت الحقيقة المرة حمدت الله عزّ وجل:

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)

سورة الشعراء

هناك وهم مريح وهناك حقائق مُرّة، الإنسان العاقل لا يرضى بالوهم المريح، بل يبحث عن الحقيقة المُرّة، الوهم المريح ما يقوله عامة الناس: أخي نحن أمة محمد أمة مرحومة، نحن عبيد إحسان ولسنا عبيد امتحان، الله يعفو عنا، الله يغفر لنا ذنوبنا، ما لنا إلا كرمه، هذا كلام لا يعني شيئاً، لكن ربنا عز وجل يقول:

فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

سورة الحجر

إذا الإنسان عرف الحقيقة ولو أنها مُرّة، ولو أنها حَجَمَتْهُ، ولو أنها وضعت في زاوية ضيقة، ولو أنها وضعت أمام مسؤولياته، هذه الحقيقة المُرّة هي المنقذة للإنسان من مغبة عمله، هذه الآية: **﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾** من دون استثناء، أنت ماذا عملت في الدنيا؟ كل إنسان له عمل، محسن أم مسيء؟ صادق أم كاذب؟ ناصح أم غاش؟ تحابي أم تستقيم؟ لسانك رطبٌ بذكر الله أم طليقٌ بالفحشاء والمنكر؟ جوارحك، عينك، أذنك، لسانك، يدك، رجلك، كيف تتحرك في اليوم؟ **﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾**.

امتحان كل إنسان فيما أعطاه الله:

الإنسان أيها الأخوة مُمْتَحَن:

أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)

سورة العنكبوت

لا يوجد واحد من المؤمنين، لا يوجد واحد من بني البشر إلا وهو مُمْتَحَن، أحياناً تعرض له الدنيا من طريقٍ غير مشروع، والطريقُ المشروعة مغلقةٌ في وجهه، ماذا يعمل؟ فإن صبر وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويا ربي لا أعصيك ولو أطبقت السماء على الأرض، لا أعصيك ولو قُطِعَتْ إرباً إرباً، لا أعصيك ولو أكلت التراب، لا أعصيك، إن علم الله منك هذا الموقف أعطاك الدنيا والآخرة: **﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾**.

لكن أتمنى أيها الأخوة أن يكون في علمكم أن إكرام المُحسن في الدنيا إكرامٌ تشجيعي لبقية المُحسنين، وأن عقوبة المسيء في الدنيا هي عقوبةٌ ردعيةٌ لبقية المسيئين، ولكن تأدية الحساب كاملاً، ولكن توفية النفس حقها، ولكن الحساب النهائي، ولكن الرصيد الكلي يوم القيامة.

الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء:

لذلك لو رأيت إنساناً مستقيماً وهو ضيق ذات اليد لا ينبغي أن تتهمه في دينه، لعل الله سبحانه وتعالى لحكمةٍ بالغةٍ أراد إرجاء إكرامه إلى يوم القيامة، وهذه الآية الدليل: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، وإن رأيت إنساناً مسيئاً وهو يتمتع بالصحة، والمال، والجاه، والقوة، لا ينبغي أن يهزك هذا الموقف، قل: لعل الله عز وجل لحكمةٍ بالغةٍ أراد أن يرجئ عقابه إلى يوم القيامة.

إن رأيت المحسن يثاب في الدنيا فهذا ثوابٌ تشجيعي لبقية المحسنين، وإن رأيت المسيء يعاقب في الدنيا فهذا عقابٌ ردعي لبقية المسيئين، ولكن الجزاء الأوفى، وتوفية النفس حقها كاملاً، ورصيد الحساب، هذا يكون يوم القيامة، والدليل هذه الآية: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.

يا أيها الأخ الكريم؛ لا ينبغي أن تجعل الدنيا دار جزاء إنها دار ابتلاء، إنسان طيب، حافظ القرآن، مستقيم، مات في مقبل الحياة، ولم ير من نعيم الدنيا شيئاً، الدنيا في الأصل دار ابتلاء..

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26)

سورة يس

لا تنتظر من الدنيا أن تكون دار جزاء، لكن اطلب من الله السلامة، لكن عافيتك أوسع لي، هكذا دعا النبي عليه الصلاة والسلام، أي يجب ألا يهزك إنسان قوي وغني وعاصٍ، ويزداد غنى وقوة، لقول الله عز وجل:

لَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198)

سورة آل عمران

الله عز وجل يعلم السر وأخفى:

الله عز وجل الذي يعلمه لا نعلمه نحن، يعلم السر وأخفى، علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، هذا الإنسان من المناسب أن يُعاجل بالعقوبة لعلم الله به أن هذا العقاب لمصلحته، وهذا الإنسان من الحكمة أن تُؤخَّر له العقوبة، وهذا الإنسان من حكمة الله أن يُتابعه على أدقِّ الزلات، وهذا الإنسان يُتركه الله عز وجل بلا

تأديبٍ ولا معالجة لحكمةٍ أَرادها، أنت لا تستطيع أن تحكم على الأشياء بعلمك القاصر، لكن الله عزَّ وجل هو العليم الحكيم، فدع هذا الأمر لله عزَّ وجل، لا يهزك إنسان يزداد قوةً وغنىً ومالاً وهو مقيمٌ على المعاصي كلها، ولا يهزك إنسانٌ مقيمٌ على طاعة الله جلَّ جلاله والدنيا صعبةٌ بين يديه، هناك حِكْمٌ لا نعلمها، الآية التي تحل هذه المشكلة:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)

سورة البقرة

الجزء الأوفى وتوفية النفس حقها كاملاً يكون يوم القيامة:

ما من إنسانٍ كان أشدَّ عداوةً للنبي عليه الصلاة والسلام من عكرمة بن أبي جهل، حارب النبي عشرين عاماً، نكَّلَ بأصحابه، ما من إساءةٍ إلا وفعلها في حقِّ النبي، وهو يزداد قوةً وشأناً.. إلخ، ثم فُتحت مكة، وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله ولو تعلَّق بأستار الكعبة. جاءت امرأته إلى النبي عليه الصلاة والسلام قالت: "يا رسول الله إن عكرمة قد هرب منك خوف أن تقتله فأمنه أمَّنكَ الله، قال: هو آمن"، ذهبت إليه فإذا هو على شاطئ البحر الأحمر ليسافر إلى الحبشة فراراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقنعته بأن النبي عفا عنه، عاد إلى مكة وقال: إنها تقول إنك قد أمَّنتني، قال: نعم صدَّقت.

القصة طويلة، وأصبح عكرمة بن أبي جهل من كبار الصحابة، وقد أبلى في القتال أشدَّ البلاء، الله يعلم، لو أن إنساناً قال: هذا ما شأنه؟ لماذا يزداد قوةً وهو يُنكَلُ بأصحاب النبي؟ أنت لا تعلم ولكن الله يعلم، هذا إنسان فيه خير ولكنه كامن، لم يأتِ الوقت المناسب ليظهر هذا الخير، وله قصةٌ طويلةٌ جداً في اليرموك، وكيف أنه كسر غِمْدَ سيفه وترك فرسه الأشقر، ودخل في غمار المعركة يُقاتل الكفار، حتى أن سيدنا خالد رضي الله عنه قال له: إن قتلك يؤدي المسلمين، فقال: دَعَكَ عني لقد كان لك مع النبي مواقف ليست لي، دعني أكفِّر عن خطيئتي، فأنت لا تعرف إذا أعطى الله إنساناً مهلةً لعلمٍ يعلمه وأنت لا تعلم ذلك، فالإنسان عليه أن يستسلم، أنت لا تعلم ولكن الله يعلم، فإذا عاقب الله المسيء، هذا عقاب ردعي لبقية المسيئين، وإذا كافأ الله المحسن، هذه مكافأة تشجيعية لبقية المحسنين، لكن توفية النفس حقها، لكن الفصل الدقيق يوم القيامة:

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)

مكافأة بعض المحسنين في الدنيا مكافأة تشجيعية لبقية المحسنين:

أحياناً يقدم الطلاب امتحاناً، والامتحان مصيري، ويترتب عليه مستقبل الطلاب، و ربما كانت العلامات في الامتحان أساس دخول الجامعة، لو فرضنا أن مدرساً فحص طلابه، ورَّع الأوراق بعد أن صححها، وكتب على السبورة السلم الدقيق برقع العلامة، ووزع الأوراق على أصحابها، والطالب قرأ ما كتب، وقرأ السلم، ونظر إلى العلامات التي نالها وفق السلم، وجمع وطرح وقسّم بأرباع العلامات، فإذا علامته تماماً كما يستحق دون زيادةٍ أو نقصان، انتهى الطلاب من مطالعة أوراقهم بعد التصحيح، وسأل الطلاب: لأحدكم سؤال؟ سكوتهم جميعاً دليل عدالته المطلقة، لو أن هناك خطأً في التصحيح، وإجحافاً، وزيفاً، وجحوداً، وميلاً، وزيادةً، ونقصاناً، لرأيت الطلاب قد قاموا من مقاعدهم، وأحدثوا جلبةً وضجيجاً، انظر إلى هذه الآية: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ كل إنسان يعرف عمله، كل منا له عمل، المهنة الواحدة تحتل آلاف النماذج، هناك مهندس مُخلص، هناك طبيب مخلص، هناك محام مخلص، هناك مدرس مخلص، هناك تاجر أمين صادق، بائع، موظف، المهنة نفسها تحتل الزيغ والاستقامة، الكذب والصدق، الرحمة والقسوة، العدل والظلم، الإحسان والإساءة، كل إنسان يعرف عمله، فإذا الإنسان استقام على أمر الله، لا كذب، ولا غش، ولا أساء، ربنا عزَّ وجل ربما كافأه في الدنيا تشجيعاً له ولغيره، أما لو أنه لم يكافئه فالمكافأة العظمى تنتظره يوم القيامة، الدنيا دار ابتلاء وليست دار جزاء.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (70)

سورة الزمر

أعلم اسم تفضيل، مهما علمت هو أعلم، سيدنا الصديق مدحه رجل، فتوجّه إلى الله عزَّ وجل، وقال: "يا رب أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون". وهو أعلم بما يفعلون، الذي خفي عنك يعلمه الله عزَّ وجل، من توفية كل نفسٍ ما عملت..

الناس رجالان؛ متصلٌ بالله منضبطٌ بشرعه ومقطوعٌ عن الله بعيد عن شرعه:

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ (71)

سورة الزمر

سيق، الإنسان حينما يلقي القبض عليه، ويقتاده المحضرون إلى التحقيق، أو إلى غياهب السجن، أو إلى العقاب الأليم، كلكم يعلم ما معنى كلمة وسيق؟ سئل أحد العارفين بالله: كيف القدوم على الله؟ فقال أبو حازم: "أما العبد المؤمن فكالغائب رُدَّ إلى أهله، وأما العبد الكافر فكالعبد الأبق رُدَّ إلى مولاه".

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالتعريف الدقيق الدقيق من هم الذين كفروا؟ الذي كذبوا وعصوا وأعرضوا، كذبوا بالحق لما جاءهم، كذبوا بما أوحاه الله إلى الأنبياء والمرسلين، كذبوا بهذا القرآن، ولأنهم كذبوا ما أطاعوا، ولأنهم ما أطاعوا فجروا، وفسقوا، وأخذوا ما ليس لهم، فالكفر له صفة داخلية وهو التكذيب، وصفة خارجية وهو الإعراض والمعصية، والناس رجلان بالضبط؛ متصل بالله، منضبط بشرعه، محسن إلى خلقه؛ مقطوع عن الله، بعيد عن شرعه، مسيء إلى خلقه، ولن تجدوا في الدنيا رجلاً ثالثاً أبداً، على اختلاف مشاربهم، وأعرافهم، وأنسابهم، وانتماءاتهم، وأقوامهم، وعوائلهم، موصول بالله، منضبط بأمره ونهيه، محسن إلى خلقه، سعيد في الدنيا والآخرة؛ منقطع عن الله، منقلت من أمره، مسيء إلى خلقه، شقي في الدنيا والآخرة، هذا الذي كفر ما عرف الله عز وجل، وكذب بالحق لما جاءه، ولم ياتمر بما أمر الله، ولم ينته عما نهى الله عنه، وأخذ ما ليس له، أعطى لنفسه كل شهواتها المشروعة وغير المشروعة، هذا هو الكافر ومات على الكفر.

القرآن الكريم فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ بعضهم قال: زمرًا أي جماعات جماعات، وبعضهم قال: المرابون زمرة، والزناة زمرة، والغشاشون زمرة، وشاربو الخمر زمرة، والأفاكون زمرة، والدعاة إلى الباطل زمرة، أنواع المعاصي الاعتقادية والقولية والسلوكية، هؤلاء زمر، أي أصحاب دور الله هؤلاء زمرة، همهم الأول إفساد الأخلاق، الكذّابون، المفترون، الذين يكيدون لدين الله عز وجل زمرة هؤلاء، شاربو الخمر زمرة، آكلو الربا زمرة، الزناة زمرة، الشاذون زمرة.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ
الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

سورة الزمر

إمعاناً في إذلالهم تُفْتَحُ أبوابها متى؟ بعد أن يأتوها ويقفوا على أبوابها، بعد ذلك تفتح
أبوابها، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ هذا أيها الإخوة
من علم الغيب، هذا مما اختصَّ به القرآن الكريم، القرآن الكريم فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم،
هذا الذي يتحدث القرآن عنه لم يقع بعد، ولكن رحمة الله بنا أن وضعت بين أيدينا هذه المشاهد،
وهذه التفاصيل، وهذه المواقف، لنتخذ حذرنا من هذا اليوم الصعب، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ
جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾.

العقل أداة معرفة الله عز وجل:

عجيب الكون مسخر لكم تسخير تعريف وتكريم، العقل أداة معرفة الله، الفطرة
تشعركم بخطئكم، الشرع بين أيديكم، الدعاة، العلماء، الناصحون، الكون مع العقل مع الفطرة مع
الشرع مع العلماء مع الدعاة مع الحوادث مع الانقباض النفسي مع التربية.
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

سورة الزمر

هنا المشكلة، الحُجَّةُ أقيمت عليهم، الإنسان أخذ من الله كل شيء، بقي عليه أن
يستجيب له.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)

سورة التوبة

النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى:

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

سورة الزمر

الآيات الكونية، والآيات القرآنية، والآيات التكوينية، الكونية خلق الله، والقرآنية كلام
الله، والتكوينية أفعال الله، وكلها آيات دالة على وجوده، وعلى أسمائه الحسنى، كما لاته، وعلى
وحدانيته.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ أمرم عجيب، كون ينطق بوجدانيته، ينطق بعلمه، ينطق
بعده، ينطق برحمته، ينطق بلطفه، ينطق بحكمته البالغة، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه، فيه إعجاز لا حدود له، سنة نبوية ليس في الأرض بشر كل كلامه حقائق إلا النبي
عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله إلينا، وإلا بقية الأنبياء والمرسلين.

اليوم أنا في الخطبة ذكرت أن هناك حديثين صحيحين، الأول رواه الإمام مسلم،
والثاني رواه الإمام أحمد، في هذين الحديثين الشريفين يبين النبي عليه الصلاة والسلام أن في
الإنسان ثلاثمائة وستين مفصلاً، ولو رجعت إلى كتب التشريح الوصفي لوجدتم أن في الإنسان
ثلاثمائة وستين مفصلاً، ومعطيات العلم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن تُعطي
هذا الرقم الدقيق، أليس هذان الحديثان الشريفان من الأدلة القاطعة على نبوة النبي عليه الصلاة
والسلام؟ وعلى أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؟ وأن النبي ليس إنساناً عبقرياً كما
يصفه أعداء الإسلام إنه نبي يوحى إليه؟ لأن العصر كله ليس في قدرته أن يُنبئنا بعدد مفاصل
جسم الإنسان، والحديثان صحيحان؛ الأول في مسلم، والثاني رواه الإمام أحمد، ولو عدنا إلى
التشريح الوصفي لوجدنا مئة وسبعة وأربعين مفصلاً في العمود الفقري، ثلاثة وأربعون بالطرف
العلوي ضرب اثنين، أربعة وأربعون بالطرف السفلي، ثلاثة عشر بالحوض، اثنان بالفك،
مجموعها ثلاثمائة وستين مفصلاً، النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، هناك أدلة من
كتاب الله عز وجل تؤكد إعجازه، وأدلة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤكد أنه نبي
يوحى إليه، وهناك فطرة سليمة.

من عرف الله واستقام على أمره ارتاحت نفسه:

إذا عرفت الله عز وجل، واستقامت على أمره، تترتاح نفسك، فإن لم تكن كذلك فأنت
في ضيق لا حدود له، فهذا دليل أيضاً، لا تترتاح نفسك إلا إذا أطعت الله عز وجل، لا تسكن

جوارحك، لا يطمئن قلبك، لا تسكن نفسك إلا بطاعة الله، هذا دليل الفطرة، هناك دليل العقل، و هناك دليل الفطرة، وهناك دليل الحوادث.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (11)

سورة الأنعام

هذا دليل ثالث، فهناك آيات كونية، وهناك آيات قرآنية، وهناك آيات تكوينية، الملائكة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ في القرآن والسنة حديث طويل طويل عن يوم القيامة، وعن أهل الجنة، وعن أهل النار، وعن البرزخ، وعن عذاب القبر، وعن الصيحة، وعن النفخ في الصور، وعن الصراط، كله مذكور في القرآن الكريم: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ والله الرسل جاءت، والكتاب بين أيدينا، والسنة بين أيدينا، والكون ينطق بعظمة الله، وكل الحوادث تؤكد وحدانية الله.

الكون ينطق بعظمة الله والحوادث تؤكد وحدانية الله:

أحياناً تسمع قصة تشعر بكل خلية في جسمك أن الله كبير، وأنه موجود، وأنه عادل، وأنه يعلم، وأنه ينتقم من الظالم، وأنه يكافئ المحسن ويدافع عنه، العوام يعبرون عن هذا الشعور بكلمة: الله كبير. تسمع أحياناً قصة تهتز مشاعرك، يقشعر جلدك منها، الله موجود، هذه القصة آية من آيات الله.

مرة ذكرت قصة عن إنسان في طريقه إلى مكان، يمشي على طريق عريض في أيام الشتاء يقود سيارة، رأى كلباً صغيراً يقبّع على طرف الطريق طلباً للدفع - لأن الزفت يمتص الحرارة - فسائق هذه السيارة أراد أن يُظهر لصديقه الذي إلى جانبه براعته في القيادة، فحاد عن منتصف الطريق، ومال على هذا الكلب الضعيف، وقصّ يديه، وأطلق ضحكة رنانة - أنه لم يقتله ولكنه قطع يديه فقط - يروي لي القصة الصديق الذي إلى جانبه وهو حيّ يرزق وهو عندي صادق، قال لي: بعد سبعة أيام في الطريق نفسه، وفي السيارة نفسها، العجلة أصابها خلل، فتوقّف على طرف الطريق، ورفع السيارة بالجهاز الذي في السيارة، وحلّ العجلة، وأمسكها بيده، فكان هناك خطأ برفع السيارة فوقعت السيارة على العجلة، والعجلة على يديه من الرسغين، فهرست هذه العظام، ما إن وصل إلى المستشفى حتى اسودّت يداه، فلا بد من قطعها من الرسغ بعد سبعة أيام، وراوي القصة حيّ يرزق أعرفه، هو الذي كان في السيارة، الله كبير، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ طبعاً في الدنيا ردع، أما في الآخرة فرصيد حساب، أحياناً تأخذ دفعة، لك مع

شخص دين، فتأخذ دفعة في اليوم السابع عشر، دفعة ثانية، دفعة ثالثة، أما آخر دفعة فتكتب الرصيد، ثم يوقع، فالرصيد يوم القيامة: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.
 ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ الكون ينطق بوجوده، وكماله، ووحدانيته، والقرآن ينطق بوجوده، وكماله، ووحدانيته، والحوادث تنطق بوجوده، وكماله، ووحدانيته.

الله موجود ويعلم وسيحاسب:

أهم فكرة للاستقامة أن الله موجود، ويعلم، وسيحاسب، إذا أيقنت بهذه الأفكار الثلاث لا بد من أن تستقيم على أمره، موجود..
 هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)

سورة الحديد

ويعلم:

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91)

سورة النحل

يعرف سلوكك، ونواياك، ومطامحك، وعقلك الباطن، والصراعات الداخلية، والخطط التي ترسمها، كله في علمه.

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)

سورة إبراهيم

عند الله مكرهم، أنت مكشوف عند الله عز وجل، مادمت مكشوفاً كُن نظيفاً، مادمت مكشوفاً كن مخلصاً، مادمت مكشوفاً كن مطيعاً.

القوانين التي قننها الله عز وجل طُبِّقَتْ عَلَى الْكَافِرِينَ:

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

سورة الزمر

القوانين التي قننها الله عز وجل طُبِّقَتْ على الكافرين، مثلاً بالنظام الداخلي من يتخلف عن الدوام في الجامعة أربعة أسابيع من دون عذر مبرر، يصدر قراراً بترقيين قيده من الجامعة، هذه قانون، هذه كلمة أي قانون، هناك طالب تخلف أربعة أسابيع عن الالتحاق بهذه الجامعة، فَحَقَّتْ عليه هذه الكلمة، أي انطبقت عليه هذه الكلمة، شملته هذه المادة، هذا المعنى، ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هناك قوانين قننها الله عز وجل، هناك سُنَنٌ سَنَّهَا اللهُ عز وجل، هذه السنن وتلك القوانين:

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)

سورة النساء

هذا قانون، هذا القانون حق على الكافر، أي انطبق على الكافر لأنه كذب بالحق، ولم يطع الله عز وجل، واعتدى على الآخرين، فعدالة الله عز وجل وحكمته وتأديبه يقتضي أن يعذبَهُ، هذا معنى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

أخطر شيء في حياة الإنسان أن يوصل نفسه مع الله إلى طريق مسدود:

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72)

سورة الزمر

الإنسان بعد أن يصل إلى هذا المكان لا ينفع لا البكاء، ولا العويل، ولا الترجي، ولا الندم، ولا العتاب، انتهى، أخطر شيء في حياة الإنسان أن يوصل نفسه مع الله إلى طريق مسدود، أي أن يموت كافراً.

يا إخوان؛ ما دام القلب ينبض فنحن في بحبوحة كبيرة جداً، ما دام هناك نبض، مادمت أنت حي، معنى هذا أن باب التوبة مفتوح، باب الإصلاح مفتوح، والصلحة بلمحة، مادام القلب ينبض وأنت حي ترزق، بإمكانك أن تتوب من توك، من هذه اللحظة، وإذا تبت إلى الله توبة نصوحة أنسى الله حافظيك والملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياك وذنوبك، وإذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هئتوا فلاناً فقد اصططح مع الله، والله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمان الوارد، أما بعد أن مات كافراً، وختم عمله، وسبق إلى جهنم: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هذا المكان المناسب، الذي معه أمراض خبيثة، أين المكان المناسب له؟ المستشفى، هذا الإنسان مكانه

الصحيح، المكان المناسب له المستشفى، أما الصحيح فمكانه النزهة، مكانه الصحيح بيته، مكانٌ جميل يستمتع به.

الصورة المأساوية لأهل الكفر:

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أبواب، من أي باب شئتم، جهنم لها أبواب كثيرة، أبواب جهنم هي المعاصي، كل معصية هي بابٌ إلى النار، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ تكبر على من؟ تكبر على الله، أبي أن ينصاع للحق، أبي أن يطيع الله عز وجل، أبي أن يطلب العلم، أبي أن ياتمر بما أمر الله، أبي أن ينتهي عما نهى الله عنه، هذه الصورة المأساوية لأهل الكفر.

لن يتقي الإنسان الله إلا إذا عرفه وعندئذ يكافأ في الدنيا والآخرة:

لكن المؤمنين قال:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (73)

سورة الزمر

هؤلاء المتقون الذين عرفوا الله في الدنيا فاتقوا أن يعصوه، اتقوا غضبه، اتقوا الشرك بالتوحيد، اتقوا الكفر بالإيمان، اتقوا المعصية بالطاعة، اتقوا غضب الله برضوانه، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ لن تتقي إلا إذا عرفت الله، تعرفه، تتقي أن تعصيه، عندئذ تكافأ في الدنيا والآخرة.

الاختلاف بين سوق المتقين وسوق المجرمين:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ﴾ هناك آية أخرى تبين هذا السوق غير ذلك السوق، المتقون يساقون كالوفد، الوفد الرفيع المستوى حينما يأتي إلى بلدٍ بدعوة رسمية من عليّة القوم فيها، تجد السيارات جاهزة، والترحيب، والسجاد يفرش في الأرض، وكأس العصير في قاعة الشرف، هكذا الوفود دائماً، تدخل بأبهى حلة، بأجمل مكان، بكل ترحيب، فسوق المتقين سوق الوفود، لا سوق المجرمين، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، هناك آية أخرى تبين الفرق، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى

الْجَنَّةِ زُمْرًا ﴿ هُنَا دَعَا إِلَى اللَّهِ، هُنَا مُحْسِنُونَ، هُنَا مِنْ أَنْفَقَ مَالَهُ، هُنَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، هُنَا مِنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، أَبْوَابِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ كَثِيرَةٌ جَدًّا، الْمَزْكُونُ، الْحَاجُّ، الصَّائِمُونَ، النَّائِبُونَ، الْعَابِدُونَ، السَّائِحُونَ، الرَّكَعُونَ، السَّاجِدُونَ، طُلَّابِ الْعِلْمِ، حُقَافِ الْقُرْآنِ، الدَّعَا إِلَى اللَّهِ، الْعُلَمَاءُ، الْمُجَاهِدُونَ، هَذِهِ أَبْوَابُ الْخَيْرَاتِ زُمْرًا، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ مِنْ قَبْلِ مَجِيئِهِمْ، إِذَا كَانَ الْوَفْدُ رَفِيعَ الْمَسْتَوَى يَقِفُ عَلَى الْبَابِ الْمَغْلُوقِ وَيَطْرُقُ الْبَابَ، مِنْ حَضْرَتِكَ؟ غَيْرَ وَارِدَةٍ إِطْلَاقًا، هُنَا مَعْلُومَاتٌ دَقِيقَةٌ، وَالْأَخْبَارُ كُلُّهَا وَاصِلَةٌ، السَّجَادِ مَمْدُودٍ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، وَالْأَرْضُ مَفْرُوشَةٌ، وَالْأَزْهَارُ مَتَفَتِحَةٌ، ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتَوْهَا إِكْرَامًا لَهُمْ، هَذَا الْفَرْقُ حَرْفِ الْوَاوِ، ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا إِكْرَامًا لَهُمْ.

المؤمن في الجنة في سلام أبدي:

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)

سورة الزمر

أنتم في سلام، أنتم في سلام أبدي، لم يبق مشكلة، الحياة كلها مشكلات، عندما يكبر الإنسان يعيش في قلق متسائلًا، يا ترى هل سيصير معي ضعف بالقلب؟ هل سيصير معي نقص بالتروية؟ هل سيصير معي ضيق بالشریان التاجي؟ هل سيصير معي هبوط بأداء الكليتين؟ هل تتصلب شراييني يا ترى؟ هل أصاب بتشمع الكبد؟ مليون خطر أمام الإنسان في الدنيا، لكن بالجنة انتهى لا توجد مشكلة، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ لا توجد مشكلة، لا بصحتك، ولا بزوجتك، هذه الزوجة لم تكن كذلك، انتزعت، تفاجأت، لا يوجد مشكلة لا مع زوجتك، ولا مع أولادك، ولا مع صحتك.

ملازمة القلق لأهل الدنيا لكيلا يتعلقوا بها:

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ كنتم في الدنيا طبيين، طابت نفوسكم بطاعة الله، طابت نفوسكم بمعرفة الله، وطابت بطاعته، وطابت بأعمالكم الصالحة، لأن نفوسكم طابت أنتم أهل الجنة ﴿طِبْتُمْ﴾، قال بعضهم: طبتم بمعرفة الله.

قال بعضهم: بطاعة الله.

قال بعضهم: بعملكم الصالح.

على كلّ المعاني كلها محتملة.

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ

خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿73﴾

سورة الزمر

لا يوجد قلق إطلاقاً، لا يوجد إنسان في الدنيا إلا وهو يقلق، إن كان بمنصب رفيع

أربعة أخماس جهده للحفاظ على منصبه، يوجد خصوم، يوجد حُساد، يوجد وشاة، يوجد

منافسون، وإن كان ببیت فخم يخاف أن يصير عليه تنظيم، نزع الملكية، مشكلة، وإن كان

بمعمل فالقلق من معمل آخر منافس كيلا يخف البيع، دائماً هناك قلق، إن كنت ببحبوحة هناك

قلق، إن كنت بصحة هناك قلق، هذا القلق يلزم الدنيا حتى الإنسان لا يتعلق بها، أما هناك:

﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ أي إلى أبد الأبدين، هذه الجنة الأبدية أيزهد بها من أجل سنواتٍ في

الدنيا معدودة؟

الوقت والمال والصحة عوامل السعادة في الدنيا للإنسان:

قرأت البارحة كلمة: عوامل السعادة في الدنيا للإنسان؛ الوقت، والمال، والصحة،

فالإنسان بأول حياته عنده وقت وعنده صحة ولكن لا يوجد عنده مال، يأتي بفترة عنده مال

وصحة ولكن لا يوجد وقت، تأتي فترة ثالثة عنده وقت ومال ولكن لا توجد صحة، بالضبط ثلاث

مراحل؛ أول مرحلة؛ الصحة متوافرة، والوقت متوافر ولكن لا يوجد مال، فهذا الشاب ليس معه

شيء، يأتي وقت عمل مشرعاً، ليلاً نهاراً وهو يعمل، جيد، الصحة موجودة، والمال موجود ولكن

لا يوجد وقت، لا يقدر أن يغيب عن محلّه ولا ساعة، يقول لك: الساعة الثانية عشرة، الواحدة،

بعد أن جمع ثروة طائلة، وسلّم أولاده، وتقاعد، صار عنده وقت، ومعه مال، ولكن أصبح في

جسمه عشرون علة، لم يعد هناك صحة، هذه الدنيا، أوحى ربك إلى الدنيا أن تكدرى وتمرري

وتضيّقي وتشددي على أوليائي حتى يحبوا لقائي.

لاحظ الذي عمره تجاوز الستينات تجد خمسين علة بالجسم، هذا الطعام لا يناسبه،

وهذه تعمل له أسيد أوريك، وهذه ترفع له حمض بول بالدم، وهذه تعمل له مشكلة، لم يعد يتمتع

بالحياة، المال موجود والوقت موجود، لا يوجد عنده شيء، عندما كان غارقاً بالعمل لقمة رأسه

المال موجود والصحة موجودة لكن لا يوجد وقت، وأول فترة بحياته الوقت موجود والصحة

موجودة لكن لا يوجد مال، هكذا طبيعة الدنيا كلها متاعب، لذلك: لا راحة لمؤمنٍ إلا ببقاء وجه ربه.

المؤمن في الدنيا يحمد الله على أنه عرف الله:

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)

سورة الزمر

قد أتصور أنه لا توجد ذرة بجسم المؤمن يوم القيامة إلا ويحمد الله بها، الحمد لله، والله المؤمن في الدنيا يحمد الله على أنه عرف الله، سيدنا عمر كان إذا أصابته مصيبة قال: "الحمد لله ثلاثاً؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ أُلهمت الصبر عليها".

ما دام دينك سليماً، لا تعصي الله، مستقيم على أمر الله، فأنت ملك من ملوك الأرض، أما يوم القيامة فيرى الجنة للأبد، لا توجد مشكلة، هو في الدنيا عرف الله..
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19)

سورة الذاريات

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنْ لَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)

سورة الطور

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)

سورة الحاقة

خالق الكون في كتابه الكريم أخبر الإنسان بأن هناك جنة ونار ووعده ووعيد:

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ

أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)

سورة الزمر

كلام خالق الكون، يقول لك: هناك جنة وهناك نار، هناك عذاب وهناك برزخ، هناك قبر، وهناك صراط مستقيم، وهناك حوض، وهناك صحف تنشر، هذا كلام ألا تأخذه مأخذ الجد؟ عجيب أمر الإنسان، كلام خالق الكون، الآن صدر قرار من خمس كلمات فرفع سعر السيارة مئة ألف ليرة، خمس كلمات فقط، معنى هذا أن الناس صدقوا، أنت تصدق إنساناً إذا أعطاك تصريحاً من خمس كلمات، ترتفع الأسعار وتنزل الأسعار بتصريح كلمات، وخالق الكون في كتابه الكريم المُعجز يقول لك: هناك جنة، وهناك نار، وهناك حساب، وهناك عذاب، وهناك سؤال، وهناك وعد، وهناك وعيد، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾.

من أثر طاعة الله على حظوظ نفسه ربح الدنيا والآخرة:

الله قال: هناك جنة، هذه الجنة، ولحكمة أرادها الله عز وجل المؤمنون يردون النار ولا يدخلونها، ورود النار أن ترى أهل النار، وأن ترى شدة العذاب لو لم تكن مؤمناً من أجل أن تزيد سعادتك في الجنة، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ من تفسيرات هذه الآية إذا كان هناك طبيب لامع جداً، يستقبل باليوم عدداً كبيراً من المرضى، وله دخل كبير بالآلاف، وعنده مواعيد لشهرين أو ثلاثة، يا ترى من أين جاءه هذا الدخل الكبير؟ حينما كان طالباً في الجامعة، وسهر الليالي الطويلة، وتحمل مشاق الامتحان، وهموم الدراسة، وصبر على الأساتذة، وعلى موادهم الصعبة، طبعاً هذا الدخل الكبير له أسباب، عمر مديد أمضاه في الجامعة كذلك هذه الجنة وما فيها من نعيم مقيم أساسه، ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ نحن في الدنيا عرفنا الله، كان هناك شمس وقمر ونجوم، وليل ونهار، وكسوف وخسوف، ومطر ورياح، ونباتات، وحيوانات، وأسماك، وأطيبار، وخلق الإنسان، وعينان، ولسان، وشفتان، هذا كله فكّرنا فيه، وهناك قرآن قرأناه، وحفظناه، وفهمناه، وحضرنا مجالس العلم مدة ثلاث وثلاثين سنة، كل أسبوع ثلاثة دروس أو أربع دروس مثلاً، وحفظنا القرآن وعملنا، ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ وكان لنا زوجة، وأولاد، وربينا أولادنا، وعلمناهم القرآن، وحفظناهم القرآن، ودائماً أمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، ودعونا إلى الخير، ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ هذا النعيم المقيم بسبب أننا في الدنيا تعرفنا إلى الله، وفي الدنيا أطعنا الله، وفي الدنيا تقربنا إلى الله، وفي الدنيا بذلنا الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، وفي الدنيا وضعنا أنفسنا تحت أقدامنا إرضاء لله عز وجل، وفي الدنيا آثرنا طاعة الله على

حظوظ أنفسنا، وفي الدنيا كظمنا غَيْظنا، وفي الدنيا أنفقنا مالنا.. ﴿وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ﴾ لولا الأرض أي إنسان لو حقق نجاحاً كبيراً في الدنيا، كلما تمتع بثمرات نجاحه يتذكر الأيام الصعبة التي تجاوزها حتى أعد نفسه لهذا النجاح، لا يوجد إنسان ينجح نجاحاً ملموساً في الحياة إلا ويذكر دائماً الأيام الصعبة التي هيأ نفسه لهذا النجاح.

اختلاف نظام الجنة عن نظام الدنيا:

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)

سورة الزمر

نظام الجنة نظام آخر غير الدنيا، لهم ما يشاؤون، لمجرد أن يخطر في بالك شيء تراه أمامك، هذا نظام الجنة، دار إكرام، هنا دار كدح..

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)

سورة الانشقاق

الواحد منا لا يصل إلى بيت مؤلف من غرفة ومنافعها في مكان بعيد إلا بعد جهد جهيد، حتى يصل للزوجة، يصل لمنصب، يصل لدخل ثابت، لمركبة صغيرة يقول لك: بعث كل ما أملك وبعد عدة أيام ينخفض سعرها إلى النصف، هكذا الحياة، مبنية على الكدح، مبنية على بذل الجهد، مبنية على تحمّل المشقة؛ أما الآخرة فمبنية على الإكرام، لهم ما يشاؤون، إذاً معنى كلمة: ﴿وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ﴾ أي أن هذا النعيم المقيم ثمنه كان في الأرض معرفة بالله، وطاعة له، وإقبالاً عليه.

أساس الجنة العمل وليس الكلام:

الآن:

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)

سورة الزمر

الجنة مبنية على العطاء بلا كدح، بلا سعي، بلا جهد.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)

سورة الزمر

معناها الجنة أساسها العمل وليس الكلام، العمل، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الذين عملوا في الدنيا يستحقون هذا النعيم المقيم في الآخرة.
وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)

سورة الزمر

والملائكة أيضاً حول العرش امتلأت قلوبهم حباً لله عز وجل، وتعظيماً له، وتسبيحاً له، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بين الخلق كلهم.

الحمد لله رب العالمين ملخص مشاعر الخلق جميعاً يوم القيامة:

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)

سورة الزمر

ملخص مشاعر الخلق جميعاً يوم القيامة الحمد لله رب العالمين، لأن كل شيء وقع وأراده الله، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، فكل ما فعله الله محض خير، ولو بدا لنا أنه شر، هذا معنى قوله تعالى:
قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)

سورة آل عمران

كله خير، فهذا الكلام لسان حال كل الخلق يوم القيامة، لذلك بعضهم يقول: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، الشيء الذي يبدو لك مكروهاً هو محض فضل ومحض خير.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)

والحمد لله رب العالمين